أنسنـة الطبيعـة في شعر الطفولة في العراق (٢٠٠٣-٢٠١٥م)

د.طلال خليفة سلمان دعاء ثامر حميد
جامعة بغداد – كلية التربية للبنات

الخلاصة
لما للطبيعة من دور مهم في حياة الأطفال؛ بما تمنحه لهم من متعةٍ وحريةٍ في التفكير وسعةٍ في الخيال ، وما لهذه الطبيعة من دورٍ فاعل للشعراء عامة ولشاعر الطفولة خاصة، حين ينتقي من عناصرها المتنوعة فيستنطقها ويرتقي بها إلى مستوى الطبيعة الإنسانية ؛ بغية إثراء خيال الطفل وإيصال مختلف الأفكار والمعلومات بصورة تُثير الدهشة والمتعة لدى المتلقي وبعيدة كل البعد عن التقريرية والمباشرة المملة ، لذا انطلقنا من هذه الأهمية لدراسة النصوص الشعرية الموجهة للأطفال في العراق خلال المرحلة المقرر البحث فيها ، تلك النصوص التي بدت فيها ظاهرة الأنسة واضحة وبشكل لافت، فعرضنا لهذه النصوص ، ودرسناها بشيء من التفصيل والدقة ، ولم يخلُ ذلك من إبداء آرائنا بين ثنايا البحث ، ومن ثم فقد أنهينا الدراسة بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها ، كما و ذيلنا البحث بالهوامش وذكر للمصادر والمراجع التي اعتمدناها في هذه الدراسة .

Humanize nature in the poetry of childhood in Iraq (2003-2015)

Dr. Talal Khalifa Salman Doaa Thamir Hameed
University of Baghdad – College of Education for Women

Abstract
That the nature of an important role in children's lives, Including offer them fun and freedom of thinking and capacity in the imagination. And its effective role of poets in general and especially apoet of childhood Selecting from diverse elements, And the rise to the level of human nature In order to enrich the child's imagination And the delivery of various ideas and information in a surprising.

And are far from the decision-making and direct screed.this importance we set off For the study of poetic texts for children in Iraq During the research stage.

Those texts in which the humanization began clearly,and our offer to these texts in style of detail and precision Not without expressing an my opinion during the research We finished the study conclusion our offer where the most important results that we have And margins According to sources And references on which we based in study

مدخـــل
إنَّ الطفلَ بطبيعتهِ يمتاز برؤيتين : **الأولى** محدودة برؤيته للعالم من حولهِ (الواقع كما يبدو) ، **والأخرى** لا محدودة وتتمثلُ بخيالهِ الحاد الذي يبدأ من خلالهِ مُحاولاً إشباع رغباته عن طريق الممارسة والخلق والابتكار؛ ليصنع لهُ عالماً خاصاً يكونُ بديلاً للواقع الذي يعيشه[١] ، والطبيعةُ بما تحويهِ من عناصر ومظاهر تمثلُ المعين الأول والمهم الذي يمد الطفل بالخيال ، ((فحبُ الطفل للطبيعة حبٌ عفوي لا ينفصل عن شوقهِ للحوار معها ؛ لذلك تستهوي الأطفال تلك النصوص التي تتكلمُ فيها الأشجار والحيوانات))[٢] ، وكما ترى إيمان العكل أن إحيائية الأشياء هي من الخصائص المهمة التي يتعامل الطفلُ بها مع ما حوله ؛ لأنه يخلط بين ذاتهِ وبين كل ما يدور من حوله فكل ما في الطبيعة لهُ القدرة على الحركة والانتقال والتفكير ، ولهُ القدرة على الإرادة ، ويمتلك صفات وخصائص الشخصية الإنسانية ، ويُعرفُ هذا عند علماء النفس بالانبهار أو التعجب ، أو اللاوعي عند الطفل[٣] .
وللبيئة الطبيعية أهميتها لدى الكُتاب والشعراء فهي ((الملهم الأول بل هي الملهم الأول لكل فن من الفنون، كذلك كانت ، وكذلك لا تزال ولن تزال .. فهي الباعث الأول للفن والأدب في كل العصور))[٤]
فالبيئة الطبيعية بهذا المعنى تمثل ملمحاً مشتركاً بين الشاعر والطفل يمثلها المخطط في أدناه بأبسط صورة لها :

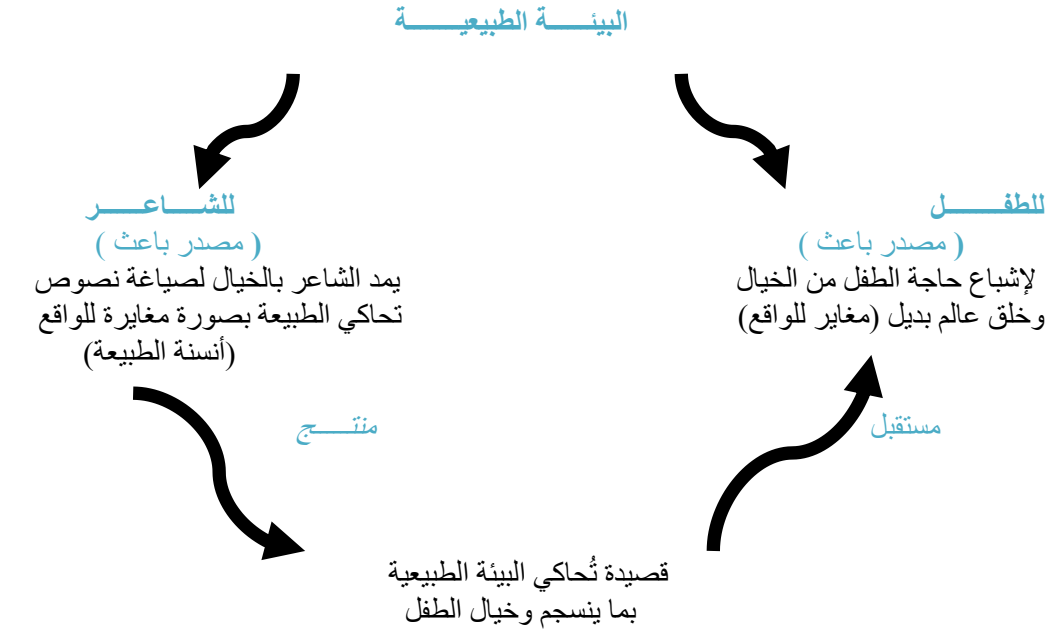

وأما الخيال أو التخييل(*) فيعدُ جزءاً مهماً في استمتاع الطفل بطفولتهِ ، كما أن التغذية الجيدة للعب بالخيال وبالأفكار على الطريقة الحرة هو جزء لا يتجزأ من تربية ذكائه وعقلهِ وشخصيته[٥] ، فالطفل في الرابعة من عمره يستمر في تصور المرئيات حتى بعد اختفائها فيحتفظ بالصور في مخيلتهِ صافية كما جاءت بالطبيعة خالية من الإضافات وتسمى هذه المرحلة مرحلة (التخيل الاستمراري) ، وما يلبث الطفل حتى يصل إلى سن ما بين السابعة والعاشرة فيبدأ التخييل بشق طريق آخر إلى ذهن الطفل ، فخلال هذه المرحلة تظهر مقدرة الطفل على الخلقِ والابتكار ، وهنا يخرج التخيل من كونه رصداً أميناً لثوابت محسوسة ، فينطلق الطفل بمساعدة مواهبهِ وحساسياته الفنية المتنامية ليخلط بين الواقع والمتخيل ؛ ليولد صورة مغايرة عن الواقع والأصل (الخلق) ويرى علماء النفس أن هذا الأسلوب في إعادة التعبير للأشياء ليس إلا طريقة الطفل في تكوين ذاتهِ الشخصية[٦] .

وما يهمنا هو هذا الخيال الخلَّاق المبتكر لدى الأطفال، الذي يمكننا ملاحظته حين نشاهد الأطفال وهم لا زالوا ((يعتقدون بأن لكل شيء روحاً حتى سن البلوغ ، فيعتقدون أن الأشياء غـيرالحية لها أرواح وأمزجة ، وأن الشمس تشرق علينا لأنها تُحبنا ، وأن الحجر يتدحرج لكي يعترض طريقنا .. وهكذا))[٧] .

ويمكن القول: إن الخيال لا يتوقف عند المراحل العمرية للإنسان فقط ، فكما قيل((نحن نحتاج لقدر من الخيال لنحتفظ بعقولنا))[٨]، ونستشهد بذلك في ميل الإنسان البدائي الذي كان يعتقد ((أن للظواهر الطبيعية أرواحاً كالأرواح البشرية ، وأنها تتصرف انطلاقاً من قصدية ذاتية ، إنه أسلوب عفوي في النظر إلى الأمور من خلال إسقاط الذات الإنسانية ورغباتها ونواياها على الظواهر الطبيعية ، والإنسان الذي أنسن الحيوان والنبات والحجر))[٩]. وكان الإنسان يسبغ صفة التقديس على بعض الحيوانات ، ظناً منه أن هناك روحاً تحل فيها ، أو تتصل بها ، وهذه الروح هي التي يُخشى منها ، ومن هذا الباب قيل : إن قبيلة طيء كانت تتعبد جملاً أسودا، فضلاً عن أن هناك بيوتاً كثيرة مُعظَّمة عند العرب على أسماء الحيوانات ، كبيت رئام ، ودارة الذئب وغيرها[١٠]، وهذه العقول والأخيلة نفسها هي من أنتجت لنا الأساطير ((التي ضمت بين ثناياها آلاف الأمثلة عن الحيوانات التي تتحدث وتُفكر مثل الكائنات البشرية))[١١] . والفنُ (بما فيه الأدب طبعاً) يدرك الطبيعة إدراكاً مختلفاً لواقعها فيعبر عنها تعبيراً فنياً جمالياً مشبعاً بالخيال والتأملات والمشاعر ، فيراها بعينهِ الفنية ويسمع أنغامها بأذنه الفنية المرهفة ، ويستند في صورهِ إلى الصور الذهنية الأنيقة المفعمة بالخيال، فيتعامل معها بلغة الأدب المترفة المليئة بالمجاز[١٢] ، ((فالفنان من خلال حساسيته الفنية ، يرقى بالأشياء إلى المستوى البشري ، فيؤنسن تجليات العالم الخارجي ، ويُدخلها إلى عملهِ الفني ، ويدعها تقوم بدورها الإنساني الجديد ، لتسهم في خلق المناخ العام الذي يطمح أن يحققه))[١٣] .

إن أهمية الطبيعة والخيال والأدب و أهمية العنصرين المتفاعلين (الطفل والشاعر) دفعنا إلى الخوض في دراسة أنسنة الطبيعة في شعر الطفولة خلال هذه المرحلة ، والكشف عن أهم وأبرز النصوص التي جسدت هذه الظاهرة (ظاهرة الأنسنة) .

ففي مقابلة مع الشاعر الراحل محمد جبار حسن (رحمه الله) ، تحدث فيها عن أهمية الأنسنة في شعر الطفولة ، إذ يرى أن الجمال في أدب الأطفال بصورة عامة وشعر الطفولة خاصة يكمن في أنسنة الطبيعة والجمادات ، وأضاف أن قصيدة (قطرة ماء تكلم العُصفور) التي وظف فيها ظاهرة الأنسنة كانت هي القصيدة الأولى التي أدخلت (محمد جبار حسن) إلى عالم الطفل والكتابة فيه[١٤] .

والأنسنة تعني ((إنزال غير العاقل من الحيوان أو النبات أو الجماد أو المعاني المجردة منزلة العاقل نطقاً وصورةً وحركة، أي أن يغدو غير العاقل إنساناً أو على صورة إنسان))[١٥] ، وتأتي أهمية الأنسنة في ((تفعيل التواصل ؛ فحين يحملُ المؤنسن صفات مألوفة للمتلقي ، قد تثير لديه تواصلاً لغوياً وعاطفياً . فالأنسنة تخلقُ عالماً من الألفة بين أجزاء الكون المختلفة ؛ إذ تُزيل الفوارق بين الإنسان وما سواه وتخلق عالماً مختلفاً بينهما))[١٦] .

وظاهرة الأنسنة (ولاسيما أنسنة الطبيعة بشكل خاص) ، تفرض حضورها بشكل لافت ؛ فهي من أهم أدوات التوصيل التي يوظفها الشاعر لإيصال أفكاره إلى الطفل ، كما وتُعد من أبرز أدوات الخيال التي ترقى بالنص إلى مرتبة الجمال والإبداع .

وأنسنة الطبيعة في شعر الطفولة لها صورتان :

الأولى : أنسنة الطبيعة المتحركة وتمثلها : الحيوانات بأنواعها .

الأخرى: أنسنة الطبيعة الصامتة وتمثلها : النباتات ، والأمطار ، والغيوم ، والكواكب، وغيرها .

أولاً : أنسنـــة الطبيعـــة المتحـــركة

مثلت الطبيعة المتحركة النسبة الأكبر في النصوص الشعرية الموجهة للأطفال ، فاستثمرها الشعراء بصورةٍ كبيرة ، ليثيروا لدى الأطفال المتعة والدهشة ، ولاسيما أن الطفل بطبيعتهِ شغوف بكل شيء يتخذ من الحركة فعلاً لهُ ، فضلا عن ((أن الطفل يميل إلى الحيوانات ويشعر بالألفة معها... فالطفل لا يستقبل الأفكار والمسائل بحفاوة تامة من الأهل أو الصديق مثلاً بينما حين يُقدم له خروف نجدة يشعر بتماسٍ تامٍ معه))[١٧] .

و**الدُّب** هو أحد تلك الحيوانات التي امتازت بقربها من الأطفال في النصوص الشعرية ، إذ قدَّم الشعراء من خلاله أفكارهم المختلفة ،ومثال ذلك قصيدة (دبدوب والحاسوب) للشاعر محمد جبار حسن التي قال فيها :

يوماً ما فَكَّرَ دبدوبْ
أنْ يُصبِحَ دُباً محبوبْ
راحَ إلى مكتَّبةِ الغابةْ
كي يعرِفَ ما هو مطلوبْ
فتصفَّحَ في كُلِّ كتابْ
مِنْ مرسومٍ أو مكتوبْ
وتَوصَّلَ للحلِ سريعاً
دبدوبُ الحُلوُ الموهوبْ

لمَّا أدركَ أن العالمْ
يبحثُ عن شيءٍ مرغوبْ
راحَ يُحاولُ أن يتعلَّمْ
فمضى يتعلَّمُ يا صحبي
كيفَ استعمالُ الحاسوبْ
كيفَ استعمالُ الحاسوبْ[١٨]

إن ما نلحظه من خلال النصوص الشعرية المقدمة للأطفال أن ظاهرة الأنسنة فيها لا تقومُ على أبيات من القصيدة ، أو على جزءٍ منها فقط بل تقومُ عليها القصيدة بأكملها ، فحين أراد الشاعر أن يوجه الطفل إلى تعلم تقنية الحاسوب على لسان الدُّب الذي أضاف إليه صفاتٍ إنسانية ك (التفكير ، بعد التفكير وصول إلى نتائج (حلول) التعلم ، استعمال الحاسوب ..الخ) ،كل تلك الصفات الإنسانية تجسدت في الـدُّب المحبوب ؛ لتقدم للطفل قصيدة مليئة بالخيال تحملُ في ثناياها فكرةً تثقيفية بصورة غير مباشرة وهنا مكمن الإبداع الفني .

وقدَّم الشاعر فاضل الكعبي الدُّبَ للأطفال وهو بهيأة مُعلم يُقدمُ درسهُ لمجموعةٍ من طُلابه في الغابة ، فيشرح لهم ويُفصلُ القول ، متناولاً بعض الأفكار ، ويتفاعل معهم ويسألهم ، وذلك في حكايتهِ الشعرية (درسُ الدُّب) التي يقول فيها :

كانَ معلِّمُنا في الغابةْ
دُبٌّ مشهورٌ،
محبوبْ ...
لا ينسى أبداً أصحابَهْ،
يسعى في تعليمِ الكُلّ،
يوماً فتحَ الدُّبُّ كتابهْ،
قرأ الدرسْ،
عن شيءٍ في الأُفقِ يدورْ،
كُلَّ شتاءٍ فوقَ الدُّورْ،
فتوجه نحو السبورةْ،
وبدا يرسمُهُ في صورةْ
ثُم أتى يسألُ طُلابهْ

قالَ لهم شرحاً فأشارْ
في هذا الرسم الأشجارْ،
من فوقِ الأشجارِ سحابةْ،
لكن الشيءَ المفقودْ
ليس لهُ في الرسم وجودْ،
وهو ضروريٌ في الوجود ..
فأجيبوني ما المطلوب ؟[١٩]

تُعد الحكاية الشعرية الحاضنة الأولى والأبرز في مجال توظيف ظاهرة الأنسنة ؛ وذلك يعود لطبيعة الطفل في ميلهِ للحكايات والقصص المفعمة بالخيال ، كما أن الحكاية الشعرية تمنح الشاعر جواً أوسع وأرحب في توظيف السمات البشرية على العناصر والمظاهر الطبيعية ، فالحكاية بعناصرها المكونة لها كالشخصيات ، والمكان (الذي عادةً ما يكون الغابة أو الحقل في هذه النصوص الشعرية) ، والحوار ..الخ ، كل هذه العناصر تعمل على توسيع مدارك الأطفال وخيالهم؛ إذ تجعل من تلك الحكاية صورة ماثلة أمامهم قريبة منهم متآلفة معهم ، كما وتساعد الأطفال في التعرف أكثر على عناصر البيئة ومظاهرها بصورة أكثر تفصيلاً ودقة .

والبيئة الطبيعية تُعد من أهم أدوات شاعر الأطفال، حين يتأملها ويستحضر كل عناصرها ويعيد إنتاجها من جديد على شكل قصيدة شعرية مليئة بالخيال ، والإيقاع الموسيقي الممتع ، والمفردات السلسلة القريبة من أفهام الأطفال[٢٠] ، ومن هذا المعنى قدَّم الشاعر جليل خزعل للأطفال قصيدة (الدَّجاجة العازفة) التي جاء فيها :

دجاجتي ((هفهوفة))
عازفةٌ معروفة
تُداعبُ الكمانْ
بخبرةِ الفنَّانْ
وتُبدعُ الألحانْ
فتأخذُ الأسماعْ
بالفنِّ والإبداعْ
في غايةِ الإمتاعْ
في وصلَةِ الختام
دوماً نراها تنحني
تحيَّة احترامْ
يُصفقُ الجمهورْ
من شدَّةِ السُّرور[٢١]

إن الشاعر في قصيدته هذه قد جعل من الدَّجاجة عازفة تُداعب الكمان، فهي كالإنسان تُطلق العنان لموهبتها وتمارسها، كما تُقدم احترامها للحضور بعد ما أطربتهم بعزفها الجميل ، وللشاعر قصيدتان تمثلت فيهما ظاهرة الأنسنة أيضاً ، وقد حملتا الفكرة نفسها (إجارة الدخيل) ، في توجيه الأطفال إلى ضرورة معاونة المحتاج ومساعدته ، إذ قدَّم الشاعر تلك الفكرة بجوٍ من الألفة والمحبة بين الحيوانات قال في إحداهما[*] والتي جاءت بعنوان (شهامة فيل) :

غزالةٌ سمراءْ
ناعمةٌ بالماءْ
قُربَ غديرِ الغزلانْ
تشعُرُ بالأمانْ
فاجأها ذئبانْ
فانطلقت هاربةً
والتجأت للفيلْ
قالت لهُ : هل تحمي الدخيل ؟
أجاب : لا ترتجفي
خلفي قفي
فإنني أجرتُك
ومنهما منعتُك
ردتْ عليه : يا فيل
سأحفظُ الجميلْ
شُكراً على الشهامة
يا صاحبَ الفخامة ![٢٢]

وهناك الكثير من القصائد الغنائية والحكايات الشعرية(***) التي تمثلت فيها ظاهرة أنسنة الطبيعة المتحركة في شعر الطفولة .

ثانياً : الطبيعـــة الصامتـــــة

لم تقتصر الأنسنة على عالم الحيوان فحسب ، بل تجاوزتها إلى ما هو ساكن في البيئة كالأشجار والكواكب وغيرها ، ((وفي كلا الاتجاهين يصدق قول أحد الشعراء : نحن معشر الشعراء ننجحُ في الأوهام ، خيراً من نجاحنا في الحقائق))(٢٣) ، فشاعر الأطفال يبتدع لأسباب عدة منها : ليبسط التجربة إلى أذهان الأطفال كي يدركوا عناصرها المميزة لها بسهولة ، ولاختراع حوادث تمثل تلك العناصر بدقة أكثر مما تمثله لو كانت واقعية ،فالمؤلف يبتدع سواء بسبب هذه الدوافع أم بسبب غيرها ، فهو يبتدع عوالم جديدة وطرز للحياة مختلفة ، ولا يخفى أن من أحد دوافع الفنان متعة الابتداع والخلق والابتكار ، إنه يصنع شيئاً ليُظهر أنه يقدر على صنع شيء وليجد متعة بالغة في ممارسة قواه المبتكرة(٢٤) ،والحديث عن الطبيعة الصامتة حديث مُتداول ، لكن إضفاء الشعراء عليها روحاً جديدة وصفات إنسانية أو أنسنتها هو شيء مبتكر، فقد حولوا الطبيعة إلى كائن بشري مفعم بالحيوية، له القدرة على التوحد مع باقي الموجودات الحية بأنسنتها. فتحولت الطبيعة الصامتة إلى شخصيات بشرية تحسّ وتشعر مثلها مثل الإنسان. ولم تعد الطبيعة الصامتة مجرد أشياء جامدة بل أصبحت منبعاً للقول الشعري كما وغدت لدى الشعراء كائناً حياً عاقلاً يتألم ويشكو ويفرح ويحزن(٢٥) ، وبشأن الطبيعة الصامتة ، حسبنا أن نبتدئ بقول الشاعر محمد جبار حسن في قصيدته (قطرةُ مطر تُكلِّمُ العُصفور) التي قال فيها :

لو تـــدري من أيـــنَ أتيتْ لَتعجبـــتَ ولـــي غنيّـــتْ
فـــأنا أُمـــي كانتْ غيمـــةْ فـــي حيِّ الغيـــمِ لها بيـــتْ
لكـــن هبَّـــت أبردُ نـــسمـــةْ زَرَعتْ في شفتيْها بسمـــــةْ
فبكـــتْ أُمـــي من فرحتِها مَطـــراً ســـالَ علـــى وجنَتِها
ومضـــى يتَلألأُ من فـــوقْ يركضُ نحو الأرضِ بشـــوقْ
أرأيتُـــمْ مِنْ أيـــنَ أتيـــتْ أرأيتـــُم مِن أيـــنَ أتيـــتْ !(٢٦)

يستطيع القارئ تلمس ظاهرة الأنسنة بشكل واضح ، حين أنطق الشاعر قطرة المطر ، وجعل لها أُماً ، كما وأسكنها في الحي، ثم أضاف لها سمات إنسانية أخرى كقدرتها على الابتسامة والفرح والبكاء ، كلُّ ذلك من أجل زيادة المتعة لدى المتلقي وهو يستقبل فكرة النص الشعري ، الذي لا بُد له من أن يحمل أفكاراً تزود الطفل بالخبرات أو المعارف والاتجاهات المختلفة ، ففكرة القصيدة قائمة على توجيه الطفل لمعرفة كيفية نزول المطر ، إذ قدمها الشاعر بصورة جميلة موحية مليئة بالخيال .ولطالما ارتبطت **النجوم والغيوم والأقمار والكواكب** المختلفة بأحلام الأطفال وأمانيهم ، وكان هذا الأفق البعيد بفضائه السماوي الرحب مصدر طاقة خلابة للخيال لا ينضب ؛ لأن الأطفال بطبيعتهم يشدهم ما هو مجهول ليصنعوا من خلاله واقعاً خاصاً بهم ، فالأطفال دائماً ما يتطلعون للسماء ، فيحلمون بالسفر إليها ، أو أن يمسكوا الغيوم ، أو يحدثوا النجوم والقمر ، وبهذا المعنى نقرأ للشاعر محمد حبيب مهدي قصيدة (صديق القمر) التي قال فيها :

أنا وذاك القمرْ
كُنَّا ومنذُ الصِّغرْ
سويةً يجمعُنا
الليلُ حتى السَّحر
يحكي ليَّ الحكايات
عن أجملِ النُجيماتْ
أصغي لهُ بلهفة

إن غابَ عني لحظة
بين الغيومِ واندثر
أحسُ قلبي هكذا
قد طارَ مني وطَفر
لكننا سنلتقي
بفرحةٍ بعد الضجر
هيَّا وداعاً إنني
بموعدٍ مع القمرْ(٢٧)

لقد استعار الشاعر من عناصر الطبيعة الصامتة عُنصراً دائما ما ينجذب إليه الأطفال ويخلب ألبابهم ، وبإضفاء صفات المؤنسن على هذا العنصر الطبيعي الصامت تم إخراجه من صمته ، إذ جعل الشاعر منه (القمر) صديقاً للطفل يسهر معه ويسليه ويروي له الحكايات الشيقة ، ولا يزال الطفل بموعده مع الصديق القمر في كل ليلة .

وفي قصيدة (غيوم) للشاعر جمال السوداني التي يصور من خلالها الغيوم وهي تتصرف كما الأنسان في أفعالها ، فهي تبكي ، وتضحك ، وتتحدث ، والرعد يُصفق فرحاً ، وذلك حين قال :

غيمـــةٌ تبكي ..
وأُخرى ضاحكـــةْ
غيمـــةٌ تحكي ..
وأُخرى حالـــكةْ
× × ×
قالتْ الأُولى : وداعاً
يا شقيقاتي الغيومْ
إنني صاعدةٌ نحو النجومْ !
قالتْ الأُخرى : وداعاً .. وداعاً
إنني زدتُ التماعاً ..
وأنا نازلةٌ صوبَ الكُرومْ !
× × ×
صفَّقَ الرَّعدُ .. وغَنَّى في سواقينا المَطر
وتراءى الكونُ في أحلى صُورْ[٢٨]

لقد أوحى الشاعر للأطفال حين أضفى بعض الصفات البشرية على مظاهر الطبيعة هذه بأنها شبيهة بنا ، فهي تبكي حزناً وتفرح وتغني شدواً وفرحاً وتؤدي عملها الموكل لها ليبدو الكون بهذه الصورة البديعة الخلّابة .

وللشاعر حسن عبد الحميد حكاية شعرية طويلة بعنوان (النَّهرُ والوردَة) يُفصِّلُ فيها الحديث عن تكوُّن المطر بمشاركة الغيمة والنَّهر والرياح ، وكيف تسعد الأرض بهطول المطر وسقياه لها ، بأسلوب ممتع وجميل لم يخلُ من إضفاء الصفات الإنسانية عليها لتبدو أكثر قرباً من أذهان الأطفال، وأكثر خيالاً ومتعة ، قال الشاعر في جزء منها :

تساقطَ المَطَرْ
بالحُبِّ وانهمرْ
فزَّت الوردةُ من نومِها
إذْ مَسَّها المَطرْ
تساءلتْ مُستغربةْ :
أينَ النَّـهرْ..
أينَ المطرْ
واستدركتْ بقطرةٍ
قَدْ بللَّتْ ثيابها
آه .. آه .. الله !!!!
إنه هُناك
في السَّماءْ
يَقفِزُ في الهواء
ما أجملَ المطر !!

ما أكرمَ النَّـهرْ
واستغرقتْ بضحكةٍ
شفَّافةٍ
وفاحَ عِطرُها
بالشُّكرِ
للنَّهر ...
والرِّياحْ ...
والمَطرْ ..[٢٩]

إن الباحث في شعر الطفولة يتضح له من خلال النصوص الشعرية المتضمنة للطبيعة الصامتة والمتمثلة (بالغيوم والكواكب والنجوم المختلفة) أن أفكارها المقدمة واحدة ولا تختلف سوى في الصياغة الفنية ، فعندما يؤنسن الشاعر الغيوم لا بد له من أن يتحدث عن المطر وكيفية نزوله ، وعندما يؤنسن القمر والنجوم لا بد من أن يجعلهما أصدقاء للأطفال ؛ لذا اقتصرنا على ذكر هذا الكم من القصائد وتجاوز ما تشابه منه ، ولاسيما أنها صيغت بحكايات شعرية طويلة جداً ، بيد أن هذا الطول قد أخل ببعض القصائد المقدمة للطفل ؛ لأنه أضاع الفكرة المراد تقديمها بكثرة الوصف، وفضول الحوار الذي يمكن الاستغناء عن بعضه ، والذي كاد أن يخرج الحكاية عن كونها حكاية شعرية إلى حكاية نثرية ، ومن تلك الحكايات الشعرية (السحابة)[٣٠] للشاعر فاضل الكعبي .

وانطلاقاً من القول المأثور : ((ما لا يُذكر جله لا يُترك كله))، نود الإشارة في عُجالة لأنسنة الجمادات والأشكال (ولاسيما الأشكال الهندسية) والحروف والأرقام وغيرها في شعر الطفولة ، وإن كانت لا تشكل ظاهرة واضحة في النصوص الشعرية المقدمة للأطفال خلال هذه المرحلة ، والقارئ لمثل هذه النصوص يلحظ أن توظيف الأنسنة فيها جاء ليقرب صورة هذه العناصر إلى أذهان الأطفال بمعنى أدق تقوم بدور تعريفي لهذه العناصر ، فعندما يتحدث المستطيل فأنه يُعرف عن ذاته ومما يتكون والمربع كذلك ، ويتضح ذلك في قول الشاعر محمد كاظم جواد في قصيدة (الأشكال الهندسية)

أنا إسمي الدائرة
لا أُشبهُ الأشكال
يرسُمُني الفرجال
وها هو المُربَّع
يقولُ شَكلي أروع
تستوي فيَّ الأضلع
صديقي المُستطيل
يُشبِهُني لكنَّهُ طويل
فابتسمَ المثلثُ الجميل
ثلاثةٌ أضلاعي
ومِثلُها أوضاعي[٣١]

فالشاعر في قصيدته هذه قد أكسب تلك الأشكال صفات إنسانية إذ جعل لها قدرة على النطق والتعريف بنفسها وقدرتها على الابتسامة واتخاذ الاصدقاء ، كل ذلك بغية تقريب تلك الأشكال لنفوس الأطفال ؛ كي يتعرفوا عليها وتبقى عالقةً في أذهانهم .

وفي قصيدة أخرى للشاعر جليل خزعل جاءت بعنوان (فرشاة الأسنان) يقول فيها :

أنا ، فرشاةُ الأسنان
منِّي أشكالٌ ، ألوان
أنا نافعةٌ للإنسان
لا تتركني مهما كان
× × ×
نظِّف أسنانك واشكرني
بعدَ الغسلِ ، قُم نظفني
في أنظفِ رُكنٍ أحفظني
أبداً أبداً لا تهملني
أبداً أبداً مهما كان
× × ×
من عملي أبداً لا أتعب
منِّي أبداً لا تتعجب
نظِّف أسنانك بعناية
الأمرُ بسيطٌ للغاية...[٣٢]

من خلال قراءة هذه القصيدة يتضح لنا تأكيد الشاعر على أهمية تعليم الأطفال العناية بأسنانهم وذلك من خلال نقل صورة الأداة (الفرشاة) التي يتم من خلالها تنظيف الأسنان ولو قُدم هذا التوجيه والإرشاد عن طريق الأهل أو المعلمة سيكون بالتأكيد بصورة مباشرة لا يتقبلها الطفل كما لو قُدمت له بصورة فيها نوع من الخيال والتسلية كما جاء في هذه القصيدة ، فالفرشاة بدأت الحديث عن نفسها وأبرزت أهميتها وتعلقت بالطفل (لا تتركني مهما كان) فهي صديقة مرافقة له دوماً ، وعلى عنايتها يجب علينا تقديم الشكر لها ، وهي دائمة العمل ولا تتعب أبداً ، ولا ننسى أن ما يُنشر من قصائد للأطفال يتضمن رسوماً وأشكالاً تُعضد معنى القصيدة ولاسيما في القصائد التي توظف فيها تقنية الأنسنة ، إذ يجد القارئ أن الرسوم قد اكتسبت ملامح الإنسان وبالتحديد إضفاء الحواس عليها ؛ لزيادة الخيال والدهشة عند تلقي مثل هذه النصوص .

خاتمـــة البحـث ونتائجـــه

بعد الانتهاء من هذه الدراسة نستطيع القول أننا توصلنا للنتائج الآتية :

١- إن أنسنة الطبيعة بنوعيها (المتحركة والصامتة) قد شكَّلت ظاهرة متميزة في شعر الطفولة في العراق ، فكانت كالوعاء الذي أفرغ فيه الشعراء أخيلتهم وصورهم الفريدة .
٢- غدت البيئة الطبيعية بفضل توظيف تقنية الأنسنة في النصوص الشعرية بمثابة الصديقة للأطفال تحدثهم وتحاكيهم وتتفاعل معهم كما الإنسان بشتى مظاهرها وعناصرها ، وذلك

حين أرتقى شعراء الأطفال بالطبيعة بنوعيها (المتحركة والصامتة) إلى مستوى الطبيعة الإنسانية ؛ وذلك بإضفاء صفات المؤنسن عليها .

٣- تصدرت أنسنة البيئة الطبيعية المتحركة نسبةً إلى الطبيعة الصامتة في النصوص الشعرية؛ وذلك لميل الأطفال إلى هذا النوع المتمثل بالحيوانات ، ولاسيما أن كثيراً من الحيوانات يألفها الأطفال وهي قريبة من البيئة حولهم كما وأن الطفل بطبيعته شغوف لكل شيء يتخذ من الحركة فعلاً له .

٤- كانت الحاضنة الأولى والأوسع لهذه الظاهرة هي الحكاية الشعرية ؛ لأنها تمنح الشاعر جواً أوسع وأرحب للتفصيل في القول.

الهـوامـــش

١) ينظر: قصص الأطفال ومسرحهم ، د. محمد حسن عبد الله ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠٠١م / ٣٥ .

٢)الأنسنة في نصوص مسرح الأطفال والكِبار _ دراسة مقارنة _ ثائر هادي ناجي ، مجلة دراسات تربوية، ع١٢، ٢٠١٠م / ٣٤ .

٣) ينظر : مسرح الطفل ، إيمان العكل ، مكتبة الجيل الجديد ، ط٣ ، ٢٠١٠م / ٩١ .

٤) شعر الطبيعة في الأدب العربي ، د. سيد نوفل ، مطبعة مصر ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٤٥م / المقدمة (و) .

*) الخيال (التخييل) :عملية عقلية تستعين بالتذكر في استرجاع الصور العقلية المختلفة ، ثم يمضي بعد ذلك ليؤلف منها تنظيمات جديدة تصل الفرد بماضيه وتمتد به إلى حاضره وتستطرد إلى مستقبلهِ ، فتبني من ذلك كله دعائم قوية للإبداع والابتكار، والتكيف القوي مع البيئة ،
ينظ : أدب الأطفال ، د. أحمد حسن حنورة ، مكتبة الفلاح ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م / ٩٢ .

٥) ينظر: الأنسنة في نصوص مسرح الأطفال والكِبار / ٣٤.

٦) ينظر:سيكولوجية الطفل (علم نفس الطفولة)، أ. ألفت حقي ، مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية، د.ط ، ١٩٩٦م / ٩٩ – ١٠٠ .

٧) كيف تكتب للأطفال ، جون آيكن ، ترجمة : كاظم سعد الدين ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨م / ١٧٨ .

٨) الأدب والطفل ، د. محمد أحمد حمدون (بحث) ، مجلة رسالة الخليج العربي ، ع١ ، ٢٠٠١م / ١١٤ .

٩) أنسنة الطبيعة في الشعر الجاهلي _ دراسة موضوعية فنية _ سؤدد يوسف عبد الرضا (أطروحة دكتوراه) كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠١٥م / ١٢ .

١٠) ينظر : الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، أ.د. أحمد اسماعيل النعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٢ ، ٢٠٠٥م / ٢١٧

١١) م . ن / ٦١ .

١٢) ينظر : الخيال العلمي في أدب الأطفال ، د. نوري جعفر ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٥م / ١٨ – ٢١ .

١٣) أنسنة الليل في شعر ذي الرّمة ، عبد الكريم يعقوب (بحث) ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، ع ٢١ ، ٢٠١٠م / ١٣٨ .

١٤) مقابلة مع الشاعر محمد جبار حسن ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، بتاريخ / ٢/٤ / ٢٠١٥م .

١٥) أنسنة الطبيعة في الموروث الشعري ، د. أحمد اسماعيل النعيمي (بحث) ، مجلة العرب ، تصدر عن دار اليمامة للبحث والنشر ، الرياض ، مج ٤٩ ، ج ١و٢ ، ٢٠١٣م / ٨ .

١٦) أنسنة الليل في شعر ذي الرّمة / ١٣٨ .

١٧) الأنسنة في نصوص في مسرح الأطفال والكِبار / ٣٥ .

١٨) سلسلة العصافير لا تدفع الإيجار ، محمد جبار حسن ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، د.ط ، ٢٠٠٧م / ٤ ، وينظر : المنهاج المدرسي قراءتي للصف الثالث الإبتدائي ، وزارة التربية ، جمهورية العراق ، ط٧ ، ٢٠١٤م / ٢٢.

١٩) حكاية شعرية للأطفال – حكاية القط والفأر – فاضل الكعبي، دار الرُّقي للطباعةوالنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٢م / ٤٤

٢٠) ينظر: لقاء خاص مع الشاعر كفاح عباس ، مجلتي ، ع ١٠ ، ٢٠١٢م / ٣٢.

٢١) شمس الصباح ، ع ٣٥٦٠ ، ٢٠١٥م / ١٦ .

**) والأخرى قصيدة (الذئب والمعزة) ، المزمار ، ع ٨ ، ٢٠٠٩م / ١٦ .

٢٢) مجلتي ، ع ٩ ، ٢٠١٢م / ٣٣.

***) ينظر : قصيدة (الحمار يعتب) ، السلسلة الشعرية العصافير لا تدفع الإيجار / ٤ ، الحكاية الشعرية (قطار من خشب) ، السلسلة الشعرية قطار من خشب ، محمد كاظم جواد ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، د.ط ، ٢٠١٤م / ١٠ ، قصيدة (فراشة) ، مجلة الرياحين ، ع ١٤ ، ٢٠١٣م / ١٨ ، قصيدة (السمكة الذكية) ، شمس الصباح ، ع ٢٤٤٥ ، ٢٠١٢م / ١٠ ، الحكاية الشعرية (الجرادة والشتاء) م . ن ، ع ٢٣٠٠ ، ٢٠١١م / ١٠ ، قصيدة (سرب العصافير) ، السلسلة الشعرية ساعي البريد ، حسن عبد الحميد ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، د.ط ، ٢٠١٢م / ١٦.

٢٣) أنسنة الطبيعة في الموروث الشعري / ٢٤ .

٢٤) ينظر: الوجيز في دراسة القصص ، لين أولتبنير و ليزي لويس، ترجمة :عبد الجبار المطلبي،(الموسوعة الصغيرة ، ١٣٧) ، منشورات دائرة الشؤون الثقافية ، بغداد ، د. ط ، ١٩٨٣م / ٥٤ .

٢٥) ينظر : أنسنة الطبيعة في الشعر الجاهلي / ١٣٨ .

٢٦) سلسلة براعم المنهل (الكتاب الثاني)، للتعليم في رياض الأطفال، دار المنهل للنشر والتوزيع، عمان، د.ط، ٢٠١٣م / ٣٩ .
٢٧) المزمار، ع ٢ ، ٢٠٠٤م / ١١.
٢٨) السلسلة الشعرية صديق الماء ، جمال السوداني ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، د.ط ، ٢٠٠٩م / ٥ .
٢٩) السلسلة الشعرية ساعي البريد / ٢٤ – ٢٧ .
٣٠) حكاية شعرية للأطفال – رسالة من حديقة الحيوان – فاضل الكعبي ، دار الرُّقي للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م / ٥١ -٦٢ .
٣١) قنبر ، ع ١٩ ، ٢٠١٥م / ٩ .
٣٢) قنبر ، ع٨ ، ٢٠١٣م / ١٠ .

المصـــادر والمراجـــع

١- المجموعات الشعرية

- حكاية شعرية للأطفال _ رسالة من حديقة الحيوان _ فاضل الكعبي ، دار الرقي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- حكاية شعرية للأطفال _ القط والفأر _ فاضل الكعبي ، دار الرقي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- ساعي البريد، حسن عبد الحميد ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، د.ط ، ٢٠١٢م .
- صديق الماء، جمال السوداني ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، د.ط ، ٢٠٠٩م .
- العصافير لا تدفع الإيجار ، محمد جبار حسن ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، د.ط ، ٢٠٠٧م .
- قطار من خشب ، محمد كاظم جواد ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، د.ط ، ٢٠١٤م .

٢- الكتـب

- أدب الأطفال ، د. أحمد حسن حنورة ، مكتبة الفلاح ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م .
- الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، أ.د أحمد اسماعيل النعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٢ ، ٢٠٠٥م .
- الخيال العلمي في أدب الأطفال ، د. نوري جعفر ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٥م .
- سلسلة براعم المنهل (الكتاب الثاني)، للتعليم في رياض الأطفال ، دار المنهل للنشر والتوزيع، عمان ، د.ط ، ٢٠١٣م .
- سيكولوجية الطفل (علم نفس الطفولة) ، أ. ألفت حقي ، مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية ، د.ط ، ١٩٩٦م .
- شعر الطبيعة في الأدب العربي ، د.سيد نوفل ، مطبعة مصر ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٤٥م .
- قصص الأطفال ومسرحهم ، د.محمد حسن عبد الله ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠٠١م .
- مسرح الطفل ، إيمان العكل ، مكتبة الجيل الجديد ، ط٣ ، ٢٠١٠م .
- المنهاج المدرسي قراءتي للصف الثالث الإبتدائي ، وزارة التربية ، جمهورية العراق ، ط٧ ، ٢٠١٤م .
- الوجيز في دراسة القصص ، لين أولتبنير و ليزي لويس ، ترجمة : عبد الجبار المطلبي ، (الموسوعة الصغيرة ، ١٣٧) ، منشورات دائرة الشؤون الثقافية ، بغداد ، د. ط ، ١٩٨٣م .

٣- الرسائل والأطاريح الجامعية

- أنسنة الطبيعة في الشعر الجاهلي _ دراسة موضوعية فنية _ سؤدد يوسف عبد الرضا (أطروحة دكتوراه) كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠١٥م .

٤- الدوريات

- مجلة دراسات تربوية، يصدرها مركز البحوث والدراسات التربوية في وزارة التربية العراقية ، العدد(١٢) لسنة ٢٠١٠م ، الأنسنة في مسرح الكبار والأطفال _ دراسة مقارنة _ ثائر هادي ناجي .
- مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، تصدرها جامعة سمنان بالتعاون مع جامعة تشرين السورية ، العدد (٢١) لسنة ٢٠١٠م ، أنسنة الليل في شعر ذي الرمة، عبد الكريم يعقوب .
- مجلة الرياحين، تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الطفولة والناشئة في العتبة العباسية المقدسة، كربلاء المقدسة

العدد	التاريخ
١٤	٢٠١٣

- صحيفة شمس الصباح ، ملحق خاص بالأطفال تصدره صحيفة الصباح العراقية :

العدد	التاريخ
٢٣٠٠	٢٠١١

٢٤٤٥	٢٠١٢
٣٥٦٠	٢٠١٥

- مجلة العرب ، تصدر عن دار اليمامة للبحث والنشر ، الرياض ، مجلد (٤٩) ، ج١و٢ ، لسنة ٢٠١٣م ، أنسنة الطبيعة في موروث الشعبي ، أ.د أحمد النعيمي .
- مجلة قنبر ، تصدر عن العتبة العلوية المقدسة ، قسم الإعلام ووحدة الطفولة في النجف الأشرف :

العدد	التاريخ
٨	٢٠١٣
١٩	٢٠١٥

- مجلة مجلتي ، تصدرها وزارة الإعلام عن دار ثقافة الأطفال في بغداد :

العدد	التاريخ
٩	٢٠١٢
١٠	٢٠١٢

- مجلة المزمار ، مجلة للناشئة تصدرها وزارة الإعلام عن دار ثقافة الأطفال في بغداد :

العدد	التاريخ
٨	٢٠٠٩
٩	٢٠١٢